

غرة صفر سنة ١٣٢٩ = الموافق غرة شباط FEVRIER سنة ١٩١١

مباحث علمية

هل يتعلم الحيوان الحساب ؟

مسالة خطيرة اشغلت بال الاساتذة المحققين وحار فيها دهاقنة العالم منذ القديم حتى اليوم لفرط غموضها ولقلة الوسائل المؤدية الى الاختبارات اللازمة التي تؤيد هذا الامر او تنفيه . وهانحن نبسط للقراء الكرام كل ما قيل في هذا الشان سلبا او ايجابا

زعم بعضهم ان الخيول المستخدمة في مناجم الفحم الحجري في مقاطعة هينوت من اعمال فرنسا قد تعلمت عددا لاتتعداه فهي اعتادت ان لاتنقل الاثقال التي تحملها الا ثلاثين مرة في اليوم ثم تذهب الى اصطبلاتها آمنة من غير قائد · في المسالة نظر فانهُ اما ان تكون هذه الحيوانات تدرك شيئا من العدد فلاتزيد عليهِ في عملها او انها فعلت مافعلتهُ بحكم السابقة اتباعا للاشارات التي كان يبديها قائدها وهو لايشعر بها

ذكر العلامة الفيلسوف مونتين (١) Montaigne في مؤلفاتهِ الخطيرة حادثا جديرا

(١ ميشيل دي مونتين فيلسوف اجتماعي ولد في قصر مونتين في بريكوردمن اعمال فرنسا سنة ١٥٣٣ اشتهر بمؤلفاته التي كان يعلم بها عجز العقل البشري عن فهم الحقائق وكان يعتقد بالصداقة المجردة وينادي بوجوب التسامح عن الهفوات البشرية . كان معجبا بسقراط وكاتون توفي سنة ١٥٩٢

بالاهتمام وهو ان الابقار المستخدمة في حدائق سور (٢) الملوكية التي كانت تدير السواقي لري الاراضي لم تكن تدور اكثر من مائة مرة في اليوم ولو انهال عليها سائقوها بالضرب الشديد

وقد اكد العلامة تيموفييف انه عرف كلبا كان متعلما العد حتى العدد السادس والعشرين وهاك الطريقة التي توصل بها الى تحقيق هذا الامر

كان هذا الكلب على عادة الحيوانات التي من فصيلته معتادا على تخبئة فضلات الطعام الذي يعطى لهُ في احد الايام لاحظه سيده انه خبا ٢٦ عظمة في جهات مختلفة من الحديقة فاراد ان يختبر درجة ادراكه فلم يطعمه في اليوم الثاني شيئا غير ان الكلب لم يقنط من هذه المعاملة الجائرة فذهب وبحث عن العظام التي كان خباها بالامس واكل منها خمس وعشرين عظمة ثم نام وبعد قليل استيقظ مذعورا وهب الى المكان الذي كان خبا فيه العظمة الاخيرة من زاده فالتهمها بنهم

ولاتستطيع الكلاب ان تتعلم العدد من غير مدرب خبير ويقتضي لاجل التوصل الى هذه الغاية الصبر الطويل الشاق والاختبار العظيم

روى الاستاذ ولبوف عن نفسه هذه الحكاية قال :

كان عندي كلبة لطيفة ظريفة خفيفة توصلت الى ان تفرق بقوة سليقتها اليد اليمنى عن اليد اليسرى فحاولت يوما ان اعلمها كيف تفرق بين الاعداد فاتيت بصحنين وضعت في احدهما ثلاث قطع من اللحم وفي الثاني اربع قطع وسمحت لها بان تاكل من الصحن الذي فيه القطع الثلاث وان لاتقترب من الثاني . بيد ان اتعابي في هذا الشان ذهبت ادراج الرياح ولفرط ماسررت على ادراك غايتي صارت تلك البهيمة المسكينة ترتجف فرقا كل ما ابصرتني مستعدا لتهيئة طعامها . وما ذلك الا لانه لم يكن لها سليقة لتعلم الاعداد . واشتريت يوما كلبا خيل لي انه بغيتي المنشودة وانني استطيع تدريبه وتعليمه معرفة الاعداد حتى الرابع منها وان لاعده الطعام الا بعد ان اعد له اربعة اعداد فبدأت ان اقول له بصوت عال . واحد . اثنين . ثلاثة . اربعة وعندئذ اسمح له بتناولة الطعام ولم يطل عليه الامد حتى تعلم عدد الاربعة خصوصا من اللهجه التي كنت انطق فيها بهذا العدد الاخير وتاكدت بعد فرط العناء ان

(١) هي احدى مدن مقاطعة تورين التابعة لمملكة ايطاليا قائمة بين ملتقى جبلي سنيس وجنيفر حاصر فيها الدوق دي سافوا وافتتحها عنوة لويس الثالث عشر سنة ١٦٢٩ . يبلغ عدد اهاليها ٤١٠٠ نسمة

معرفته هذا العدد كانت متوقفة على اللهجة التي انطق بها . وكان عند والدتي كلب صغير علمته ان ينقل لها الاخشاب الصغيرة بفمه كل يوم صباحا لكي تضرم بها النار ولم يكن يكف عن العمل الا اذا قالت لها كفى . في احد الايام تغيبت مع والدتي عن البيت ولما عدنا اليه وجدنا ان ذلك الكلب كان قد نقل سائر الاخشاب الصغيرة من القبو الذي كانت فيه الى الغرفة التي اعتادت والدتي على اضرام النار بها . وما ذلك الا لانه لم يجد من يقول له كفى .

ومن المؤكد الثابت ان الحيوانات تعرف عدد مواليدها ولا يمكن ان تلفظ فيه وقد ذكر القبطان ماريات عدة ادلة وشواهد تؤيد هذا الامر منها انه اخذ جروي كلبة ولدا حديثا من امها ووضعهما امام قطة مرضعة فصارت تغذيهما بحليبها ولما كبرا وصارا قادرين على اكل الطعام واللحوم كانت اخوتهما اقل منهما قوة ونشاطا فاخذها القبطان من امام القطة التي ربتهما فظهرت عليها امارات الحزن وظلت مدة يومين لاتستقر على حال من الهدو والسكينة الى ان ظفرت بهما اخيرا فاشتبك القتال بين الام الحقيقية والمربية وانجلت المعركة عن فوز الثانية التي اخذت ربيبيها عنوة عن امهما على مرتين متواليتين

وقد اكد هوزو ان البغال التي خصصت للعمل حين مد الترامواي في اورليان الجديدة تعلمت العد حتى العدد الخامس لانها كانت تقطع المسافة من العمل الى محل الشغل اربع مرات في اليوم وهي صامتة ولما تنتهي من المرة الخامسة تبدأ تنهق بشدة كانها لاتريد التقدم الى الامام

وذكر الموسيو تيموفييف الذي استشهدنا بقوله قبل الان ان احد القرويين عود حصانه الذي كان يقود عربته الى المدينة ان يقف للاستراحة في محل معين ولم تمض برهة طويلة حتى اعتاد الحصان الوقوف في ذات المحل من غير ان يبدي له معلمه اشارة للوقوف

وقال الاستاذ جاكو ان القردة تعلمت من ذاتها الحساب حتى العدد الرابع وقد توصل الى تحقيق هذا الامر بطريقة غريبة مضحكة وذلك ان القردة في الترنسفال كما في باقي الجهات الافريقية اعتادت على اتلاف الزرع لذلك كان الاهالي يختبئون في الحقول ضمن اماكن مخصوصة ولا يخرجون منها الا اذا اشعروا باقتراب هذه الحيوانات من مزروعاتهم بيد ان هذه الطريقة لم تكن تكفي لارهاب القردة التي عرفت بمكرها وخبثها فانها كانت تظل كامنة في مكانها حتى اذا تحققت انصراف الاربعة صيادين

الذين يكونون كامنين لها عندئذ يهجمون على الزرع ويتلفونه . اخيرا اكتشفوا حيلة القردة فكان يكمن لهم اكثر من اربعة واما يشعرون بدنو القردة من حقولهم يتظاهرون بالسآمة والضجر فيخرج اربعة من مكمنهم عائدين الى منازلهم ويبقى الآخرون مختبئين فتحسب القردة ان الجو قد خلا لها فتهجم على الحقول وتقع فريسة في ايدي قانصيها
هذا ما توصل اليه ارباب التدقيق حتى الان ولله في خلقه شوءون

خ.ع.

فلسفة اجتماعية

الفلسفة والفلاسفة

الى اخي في الكتابة داود مجاعص
اذكر انك قلت لي يوما انك لو اضع كتابا تسحق به جميع فلاسفة العصور بمذاهبها لتوءسس العلم على قاعدة جديدة راسخة . فانا ازف اليك هذه المقالة وبها طليعة ضحاياك العتيدة التي تنتظر كرة قلمك كما انتظرت اصنام الكعبة من قدم يمين نبي الاسلام

الفلسفة هي ام العلوم وروحها ولها مذاهب وطرق ولكل مذهب امام واشياع ولكل طريقة اصابة وخزيان ونصر وكسر وسيطرة وانمحاق ولقد تعددت المذاهب وتكاثرت الطرق فقام في كل عصر وملة وفي كل زمان ومكان فلاسفة بآرائها المتضاربة ونحلها المتناسخة حتى يكاد لا يحصى عديدها

انما من الفلاسفة ائمة يوءتم في رأيهم ومن الطرق طرق نهجت نهج الصراط المستقيم ان كان ثمة من صراط . ونحن ذاكرون هوءلاء العظماء من سالف الاوان الى الان بما خلفوا من عظيم آرائهم وتآليفهم وطرائقهم التي توالت وتناسخت على ممر الاجيال وهي الى عهدنا هذا ولم يقر لها قرار باستظهار مذهب ثابت الطريقة دائم الاستمرار

تمهيد

العلم كل العلم علم المقدمات والعلل • فاذا ماادركت العلة في تحولات ظواهر الكون المحسوسة اهتدي بها الى نتائجها اللازمة وجوبا ثابتا لمقدماتها وبذا يتوصل الى معرفة الحدث قبل آن الحدث والى اثارة ثائره عند الاقتضاء • والعلم دابه التطلع الى اسرار هذا الكون والتنقيب عن نظامهِ وسنتهِ وشريعتهِ كما ان دأب العين التطلع الى ظواهره المحسوسة • لكن نظر العلم لايطمح الى مهجة الكون ومادتهِ وعميق طبيعته واستحالتهِ • فعلة الوجود واصله وفصله خارجةعن دائرة نطاقه • الا ان العلوم التى تتوخى درس الانسان بمركبات جسمه ووظائفها تقف عند طروق باب الاصل والفصل باب الهوية والجوهر باب الحكمةمن صنعه وعتيد معاده ذاك باب الفلسفة الموصود

المادة والروح والمبدع الاول ثلاث مهمات حامت حولها فلاسفةالعصور فانثنت كالعقبان وقد هشمت اجنحتها ريح عاصف ولم تدرك كنهها ولم تهتد الى النور الذي ينير ديجورها ويضيء فضاء ظلماتها المتكاثفة حاول حكماء اليونان حل مسالة الكون وذلك من القدم لاول عهد وجودهم • وبعد الخوض العميق والنظر الطويل واجهاد النفس والفكر كادت مذاهبهم ان تكون صبيانية • فرأوا ان جوهر الكون واحد انقلب بطريق الاستحالة الدائمة الى ماتراه عيننا وتدركهُ بصيرتنا من المخلوقات المتعددة المتنوعة رأى تاليس حكيم ميله ان جوهر الكون الواحد هو الماء فانشا منهُ الاجسام والاجرام السماوية والارضية وكان المبدع الاول البسيط في مركبات العالم لكونه قابلا لكل صورة — رأى انكسيمانس ان اول الاوائل من المبدعات هو الهواء • ورأى ايراقليطس وليد افسس ان النار هي المبدأ واليها المنتهى ان منها التكون واليها الفساد ورأى كثيرون آراء كثيرة ولم تصب الا انهُ كادت لمحات بصرهم المحدقة بالظلمة ان ترى مايراه فلاسفة هذا العصر من ان سنة الكون هي سنة الارتقاء الدائم عن طريق الاستحالة في العرض مع بقاء الجوهر

فلاسفة اليونان القدماء

سقراط • شهيد الفلسفة وابو عذرتها ومن الذين تقدموه عهدا • **انكسيمندريس** واضع مقالة في اللانهاية **وابنذقلس** وليد جزيرة صقالية الذي اشتهر باتساع علومه في الفلسفة والطب والطبيعيات حتى خيل انه من السحراء فرمى

بذاته في جبل النار ايهاما بانه انتقل الى السماء العليا لكن فوهة البركان قذفت بحذائه ولم تمسه النار فنزل به الحذاء من الاعالي الى درجة منتحر معجب بنفسه .

سقراط . ولد سقراط في اثينا في القرن الخامس قبل المسيح وكانت امه تتعاطى مهنة الولادة وابوه نقاش اسمه سوفرونيسكس . قضى عمره مابين امرأة سليطة وتلامذة يتقاطرون لاستماع تعاليمه فكانت حياته اشبه منها برسالة دائمة يأخذ بتعليم الشعب اينما وجده خاطبا فيه ووازعا ورادعا في الباحات العامة والاعياد والمدارس الى ان قامت عليه قيامة الخاصة من مواطنيه فرموه بالالحاد وقادوه الى المجالس فمثل اليها كبير النفس رابض الجأش فاستيق الى السجن غير مكترث ولما قدم له السم الناقع اخذه ولم ترتجف يده وانتظر الموت محدثا تلامذته بخلود النفس

لم يخلف سقراط كتابا بعده بل كانت تعاليمهُ كلها شفاهية نقلها تلامذته وهي تمتاز عن غيرها بانها تنظر الى الجهة الادبية العملية من الانسان دون ان تضيع الوقت بابحاث لاطائل تحتها عن اصل الوجود ووجهته جعل الانسان من حيث اعماله موضوع الفلسفة واسس بذلك الفلسفة الادبية . كان يقول اعرف ذاتك ياانسان . ومعرفة الذات معرفة النفس ومعرفة النفس معرفة الواجب

سقراط هو في طليعة المفكرين الذين هدوا الانسانية .

طريقته — السؤال والجواب فبسؤاله يضطر العقل الى الرجوع الى ذاته فيرى في داخله النور فيبصر الحقائق التي يؤسس عليها الفضيلة

افلاطون . ولد في اثينا سنة ٤٣٠ قبل الميلاد من اسرة شريفة ودرس على سقراط وكان اعز اتباعه اليه واصدقهم مودة . وكان جواب آفاق

فاتفق له ان بيع كعبد رق اثناء اسفاره وقد اوغر عليه صدر حاكم سيراقوس الشهير بالمظالم . ثم انه اسس في اثينا مدرسة مقرها في بساتين اقاذيموس على مسافة ستة مراحل من المدينة فاطلق عليها لهذا اسم اقاذيميا . ومات وعمره ثمانون عاما وخلف ماينيف على الثلاثين محاورة بها يحيي ذكر معلمه سقراط ويعيد تعاليمه كلها غاية في صناعة الانشاء وفي براعة معانيها ومتانة مبانيها واهمها في الجمهورية وفادون او موت سقراط والمأدبة

اما مذهب افلاطون فقام بالصور العقلية او الافكار وليست في عرفه مثال الاشياء كما نفهمها الان انما هي الحقيقة البحتة التي ترتديها موجودات الكون وقد تكون كاملة فيها وقد لاتبلغ الكمال . وهي منها بمثابة الصورة الاصلية والقاعدة . والافكار سياق درج قام فكر الخير في ذروته . ووجهة العاقل محاولة التقرب من هذا الفكر الذي لافكر بعده اي الخير ومن الجمال الذي هو ملاصق له

كان افلاطون يرتفع الى الحقائق ليس بقوة عقله وادراكه فقط بل كان يتطاير اليها على اجنحة الخيال والشعر فانه شاعر في القلب ومفكر في العقل وقد شبه العاقل الذي يسمو بادراكه الى الحقائق برجل ادخل الى كهف مظلم وقد تحرر من اسره وابصرت عيناه النور بغتة فالنور الذي ابصره هو كان باهرا اذار عقله ولم يفتأ ينير من بعده بتلاءلاء باهر تعاليمه السامية

اريسطوطليس . ولد في شتاجير سنة ٣٨٤ قبل المسيح واختلف الى افلاطون ودرس عليه مدة عشرين سنة . واتفق ان اصبح معلم اسكندر المكدوني الفاتح الشهير المعروف بذي القرنين وما زال صديقه ومرشده حتى مات في حملته الى الشرق

ثم اخذ اريسطوطليس في التعليم في حرم هيكل ابوالون فكانت تلامذته تتحادث وتتجادل وهم مشاة في تلك الباحة ولذا اطلق عليهم اسم مشاؤون ومات المعلم سنة ٣٢٢ ق.م

وكان عقله جامعا لاشتات العلوم والفنون ومؤلفاته هي بمثابة دائرة معارف واسعة اهمها كتابه في المنطق الذي عرفه العرب باسم التعليمات والسياسة والاخلاق او الاداب كما هو متعارف الان ودرس الطبيعة وما بعد الطبيعة اعني درس جوهر الكون وعلة العلل

اما مذهبه فهو ان الكون مركب من مادة وصورة . فالمادة هي الصورة الغير محدودة الهيولى والقوة الكامنة التي يخرجها الى حيز الفعل مبدأ آخر وهو الصورة فيكونها تكوينا حقيقيا يبلغ بها كمال الوجود وهذا الخروج من حيز القوة الى حيز الفعل ان هو الا التحول وكل صورة تضحي مادة جديدة لصورة اعلى في معارج الارتقاء الدائم ومن جراء هذه ترى الكون باسره نازعا الى الرقي طامحا الى الخير وخير الخير . وقد علته علة اولية ذات جوهر كامل ثابت لا يعتريه تحول ولا تغيير . مستقلة عن المادة الهيولية وهي القوة الغير الكلمنة القوة الثائرة وهي الفعل البحت ومحض الوجود . المكون المبدع الدافع الى الرقي والخير

اما تاثيره فحدث عنه ولا حرج حتى في الاجيال الوسطى فكان امام الفلاسفة وعلمهم المعلوم قال ابو الوليد ابن رشد كبير فلاسفة الاسلام في الاندلس في الاجيال الوسطى : جميع الفلاسفة الذين عاشوا بعده اي (ارسطو طاليس) منذ ذلك الزمن الى اليوم اي مدة (١٥٠٠) سنة لم يستطيعوا زيادة شيء على وضعه ولا وجدوا خطأ فيه فلا ريب بان اجتماع هذا العلم في انسان واحد امر عجيب غريب يوجب تسميته ملكا الهيا

ابيقوروس . ولد في اثينا سنة ٣٤٢ قبل المسيح واخذ في التدريس في السادسة والثلاثين من عمره فتقاطرت اليه تلامذة كثيرن وكانوا يعلون مكانته وله عليهم اشد تأثير لما كان فيه من العيشة المنزهة والنفس الراقية والروح الطيبة

ترك ابيقوروس مقالات صغيرة ورسالات ومقاطيع حكمية لم يصل الينا منها الا القليل

اما مذهبه فمزدوج ، مذهب في الطبيعة ومذهب في الاخلاق . فاما مذهبه في الطبيعة فكون اصل المادة جوهر واحد في طبعه متعدد في جنسه متناه في الصغر غير قابل التجزئة والتحول تألف من تاليفه الوجود على انواعه وهذ المذهب مادي محض

اما الاخلاق والاداب فبقيتها ووجهتها السعادة واللذة . اللذة الراقية غير اللذة الشهوانية . لذة العلم والعقل والفضيلة وانما يتوصل اليها عن طريق الاعتدال وتهذيب قوى النفس والراحة والحماية هربا من التشويش الذي يفسد اللذة ويجتنبه العاقل

وعيشة ابيقوروس المثلى تدفع عنه تهمة من قال فيه انه مثير ثائر الشهوة والملاذ في نفس الانسان

ذليتون واصحاب الرواق . ذليتون وليد قيسيوم اتى اثينا في اواخر القرن الرابع قبل المسيح وانشأ مدرسة بالقرب من رواق جميل يفوق ماسواه عظمة وشأنا ولذا سمي اشياعه اصحاب الرواق . واذاشرف على الهرم آثر الموت على الحياة فانتحر

وقدخلف تلميذين **خريسبيس وقلايبث** اللذين نشرا تعاليم الرواق

اما مذهبه فمادي ايضا وكل الموجودات الاشياء وما يحدث عنها

حتى والنفس ايضا مادية بحتة والقوة العاملة في تركيبها وايداعها الحركة هي قوة مادية هي روح نارية هي روح العالم هي الله

انما فخر اصحاب الرواق باخلاقهم فذهبوا الى ان الخير الذي لا خير فوقه مستقر في العقل وان الفضيلة هي تطبيق العمل على سنن العقل وهي السعادة القصوى . والرذيلة ان هي الا الشر بعين العاقل . الذي وجب عليه من لدن عقله ان ينزه نفسه حتى وذاته كلها عن ظواهر الحوادث محتقرا الالم في قلبه وجسمه محتملا بصبر لا يمل وروح لا تعرف الشكوى المصائب والاحزان والعذاب وصروف الزمان ومظالم القدر والانسان فكانت حكمتهم بان عف واحتمل تسعد

فلاسفة الاجيال الوسطى

اشتهر في الاجيال الوسطى فلاسفة المدرسة في اوروبا ومنهم فلاسفة الاسلام في الاندلس وغيرها . واشهر فلاسفة النصارى لذاك العهد توما الاكويني احد اباء الكنيسة اللاتينية ونابغة زمانه بما اوتيه من قوة الادراك وسعة العقل واستقامة الارادة ونزاهة المعيشه

واشتهر في الاسلام ابن بجا وابن طفيل وابن زهر وابو نصر الفارابي وابن رشد وابن سينا وكثير غيرهم مثل يعقوب بن اسحاق الكندي وحنين بن اسحق ويحيى النحوي وابي الفرج المفسر وابي سليمان البحتري وابي سليمان محمد المقدسي وابي بكر ثابت بن قرة وابي تمام يوسف بن محمد النيسابوري وابي زيد احمد بن سهل البلخي وابي محارب الحسن بن محارب القمي واحمد بن الطيب السرخسي وطلحة بن محمد النفسي وابي حامد احمد بن محمد الاسفرابيني وعيسى بن علي الوزير وابي علي احمد بن مسكويه وابي زكريا يحيى بن عدي الضميري وابي الحسن العامري

وانما كبراء القوم وائمتهم ابن رشد وابن سينا والفارابي

وهؤلاء جميعهم اي فلاسفة النصارى والاسلام ليسوا باصحاب مذاهب فلسفية خاصة انما هم تلامذة تعاليم اريسطوطليس اخذوا عن مؤلفاته وشرحوها واذا مازادوا شيئا فيها فهو يسير وقد يكون مستعارا ممن تقدمه من الفلاسفة وانما كانت الفلسفة لهم آلة لاغاية اذ استخدموها لتوطيد تعاليمهم الدينية واسسوا عليها بناية معتقداتهم اذ عدلوها بما عند كل منهم من الحقائق الموحاة

كتب ابن رشد فيلسوف الاندلس كتابا سماه : فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال . والاجيال الوسطى كلها كانت جادة وراء هذا الاتصال اذ ان ارسطوطليس عندهم هو نبي الفلسفة هو معلمها المعصوم وقد قال فيها القول الذي لاقول بعده . وعلى هذا فقد انقسم العالم الفلسفي في اوروبا الى فئتين في تغيير تعاليم المعلم وذلك في مسألة الافكار الكلية او الكليات فمنهم من ذهب الى انها هي الحقيقة التي ترتديها الاشياء فتصبح بها متحققة ومنهم من قال انها اسماء فقط لاحقيقة ورائها مجردة كبقية الاسماء واشتد الخلاف الى ان قام من وفق بين الاثنين باعتداله فقال ان الكليات ليست حقيقة حقة وليست اسماء وهمية فقط ان هي الا صور الاشياء التي ترتسم في الذهن وتلبث فيه اذ ذاك كامنة بجوهر حقيقي روحاني فتخرج عن كونها اسماً وتدخل في معارج الحقائق

ومما عني به خصوصا فلاسفة الاجيال الوسطى من النصارى درس القياس المنطقي الذي قد كان وضعه اريسطوطليس فاوغلوا في درسه وتقسيمه وتحديده زاعمين بان به التوصل الى الحقيقة وما عثروا الا بالوهم والضلال اذ انهم فقدوا الغاية المطلوبة ولم يهتدوا الى الضالة المنشودة .

ولم يدركوا ما تتحراه الفلسفة من احياء ناموس الكون في النفس البشرية ومن الخوض وراء اسراره الغامضة التي تلبث ازاءه جامدة صامتة نظير ابي الهول الراقد في رماله المحرقة

يتبع خبر الله خبر الله

*. * * *

العالم في نظر الفلسفة

تابع

ان المجردين عن حلى الدين ٬ قد ادى بهم هذا الاعتقاد الى نتائج سيئة حسب مقايساتهم المادية ٬ فوقعوا في شر الافراط والتفريط ٬ ولم يعلموا ان «كلا طرفي كل الامور ذميم» نظروا الى الانسان نظرتين ٬ احداهما هوت به الى الحضيض حسبما افادهم العلم عن حقيقته المادية ٬ والثانية رفعوه بها الى مقام سام ٬ يقف طرف الفكر دونه حسيرا

لامقايسة بين مقام الانسان المعنوي وبين عالم الطبيعة وسعته اللانهائية طالما هو حسب مفاد الحديث القدسي «الانسان سري وانا سره» فهو بانكشاف هذه الحقيقة رفيع المكانة ٬ سامي القدر ٬ علي المنزلة ٬ ولا يخشى عليه من شيء يخفض من شأنه ٬ اذا بقي واقفا في هذه المرتبة — والا فاذا غفل عن حقيقة ذاته ٬ واراد ان يقايس بينها وبين الماديات ٬ فلا يقدر ان يجد لنفسه الا قدر جزء لايتجزأ ٬ وكما ان العوالم الطبيعية لايحددها نظر الفكر ٬ فان حقيقة الانسان المعنوية ٬ تعالت عن الاحاطة والتحديد ٬ وما ذلك الا لانه الاول في القصد والاخر في الايجاد

ان جميع الفلاسفة ماعدا الماديين منهم، اعترفوا بان الانسان ليس هو الهيكل المحسوس، بل هو عبارة عن اللطيفة الربانية المتجلية فيه، و «من عرف نفسه فقد عرف ربه»

ان الروح لاتقبل الانقسام والامتداد، وعليه فمقايستها بالعالم سواء كان متناهيا او غير متناه لايجوز اصلا اذ كيف نقيس حقيقة من شأنها الانقسام والامتداد مع حقيقة ليس من شأنها شيء من ذلك

يقول الشيخ الاكبر قدس سره «فلا اعز من الانسان بربوبيته، ولا اذل منهُ بعبوديته» ولقد اصاب المحز في تعبيره هذا، اذ جعل الانسان برزخا بين منزلتين، ولا يجوز البحث عن عظمته او حقارته بغيرها

ولولا ان هذه النظريات السقيمة تؤدي ببعض الاناسي الى استصغار العظائم، واحتقار معالي الامور لضربنا دون اطالة البحث فيها كشحا

كما ان البشر اختلفوا في البحث عن حقيقة ذاتهم واضطرب حبل اعتقادهم في هذا «العالم»

يقول بعضهم ان عالمنا هذا شر محض، فيناقضه الاخر بقوله «كلا» بل هو خير محض، ويقف بينهما ثالثهم فيقول الموت خير من الحياة، فيمسك بتلابيبه رابعهم قائلا بل الحياة خير من الموت . وهكذا تجد كل حزب بما لديهم فرحون

للحكماء مذاهب متعددة في تقدير ماهية الدنيا، فانطلق ليراعنا العنان قليلا في تبيانها، ولكن قبل ان نخوض في عباب البحث يجب علينا ان نعتقد بانه لن يوجد فيما بينهم من لايتهالك في سبيل حبها، حتى ان «شوبنهاور» — الذي انفرجت مسافة الخلف بين قوله وعمله — كان في طليعة القائلين عنها بانها «شرك الردى وقرارة الاكدار» مع انه كان

يزاحم عشاقها، وكثير غيره ارشوا اليها النبال ثم كانوا مصداق قول القائل «يذمون دنيانا وهم يحلبونها»

ولله در الشاعر الذي ضرب من الانصاف بسهم وافر، حيث يقول

اصبحت الدنيا لنا عبرة فالحمد لله على ذلكا
قد اجمع الناس على ذمها وما ارى منهم لها تاركا

ان كل واحد من هؤلاء الباحثين يدعم رأيه ببراهين يقتنع بها وها نحن موردوها كما ياتي

يقول بعضهم "اذا كان المبدع الحكيم جل وعلا يرجح خلق بعض العوالم الممكنة على بعض فلا بد من سبب كاف لهذا الترجيح، فهل يتصور سبب لترجيحه خلق عالمنا هذا على غيره من العوالم اعظم من كونه من ابدع الممكنات؟؟

فعلى هذا نجزم يقينا بانه لايوجد مايضارع عالمنا هذا في الحسن والابداع (او كما قال الغزالي (رض) ليس في الامكان ابدع مما كان)

ان «مالبرانش»(١) و «لابيج» (٢) يعدان في طليعة القائلين بهذا المذهب الذي يسمى «بالاستحساني المطلق»

قبل بعض الفلاسفة هذه النظرية بقيود اضافوها اليه فسموا مذهبهم «بالاستحساني النسبي» وهاك رأيهم :

يقول هؤلاء : ان من متناول القدرة الالهية ايجاد عالم اقل الما وكدرا من عالمنا هذا، ولو ارادت ذلك لكنا نسرح الان في عالم ابدع صنعا واتم جمالا من هذا العالم واذا كانت القدرة اخرجته من بين العوالم

(٢) مالبرانش اسقف (اوراتوار) عالم نظري ولد في باريس سنة ١٦٣٨ ومات سنة ١٧٣٥

(٢) لابيج كاتب روائي ولد في باريس سنة ١٨١٥ ومات سنة ١٨٨٨

الممكنة، فلا يلزم القول بانه نهاية الابداع ، ولو تعلقت الارادة الازلية بايجاد ماهو ارقى مما نحن فيه لكان ثمة عالم معمور بالمحاسن اكثر مناسبة لمقتضيات كمالاته تعالى الذاتية ، وبما ان ايجاد احسن العوالم وابدعها ليس واجبا عليه تعالى ، لان في الوجوب تحديدا للمشيئة واتصافه سبحانه بالصفات الكمالية التي لانهاية لعظمتها ، يستوجب ان يكون قبل هذا العالم الذي نريده ، عوالم متعددة حتى يبلغ درجة الكمال اللائقة بعظمة تلك الصفات القدسية ، فبناء على ماتقدم نقول ان عالمنا هذا ليس هو من ابدع العوالم الممكنة بل هو «حسن» في حد ذاته ، يترجح وجوده على عدمه

ان « فنلون » (١) و «بوسويه» (٢) وغيرهما من الحكماء ذهبوا هذا المذهب

اما « المستقبحون » الذين يناقضون مذهب « الاستحسانيين» فيرون غير هذا الرأي

يقول « شوبنهاور » الذي هو حامل لوائهم ومن لف لفه ان هذا العالم اقبح العوالم الممكنة واشنعها ، لا احسنها وابدعها ، ولتأييد المدعى يوردون الادلة الاتية قائلين

الحياة هي عباره عن عذاب دائمي ، ولا يوجد على ظهر البسيطة فرد يريدان تعود ايامه الماضية مطلقا بدون ادخال تعديلات كثيرة عليها فنفهم

(١) فرنسيس فانلون رئيس اساقفة (كامبرا) ولد سنة ١٦٥١ ومات سنة ١٧١٥ وهو من اسرة مشهورة في السياسة والحرب كان استاذ حفيد لويس الرابع وقد وضع له في الافرنسية كتاب تلماك الشهير

(٢) بوسويه اسقف (مو) ولد في ديجون سنة ١٦٢٧ ومات في باريس سنة ١٧٠٤ خطيب شهير صاحب التآبين والمراثي المشهورة

من هذا ان عالمنا هذا في نظر العامة عبارة عن شيء قبيح ليس الا ، كما ان الفن اثبت لنا ان مرارة الحياة ، متناسبة مع التكمل العضوي تناسبا بسيطا ، فعلى قدر تكمل البشر تزداد آلامهم على تلك النسبة ،

الاترون ان الاعاظم الذين تأتم الهداة بهم هم اكثر الناس تافقا من الحياة ، ثبت اذاً ان هذا التكمل قبيح في حد ذاته

ماعدا هذا فلا يمكننا ان نستطرد سيرنا في جواد هذه الحياة بغير وسيلتين اولاهما العشق ، وثانيهما «افناء حياة الغير»

لنتأمل في اسد وقعت في مخالبه غنمة فمزقها كل ممزق ، ولنفتكر في اللذة التي يذوقها الاسد . والعذاب الذي انتاب الغنمة نجد ان حياة هذا قائمة بتلاشي حياة تلك . على حد قول المتنبي (مصائب قوم عند قوم فوائد)

ان (العشق) الذي يعدونه من اعظم اللذائذ ، يفيض من معينه ادهش المصائب واعظم الارزاء ، التي يصلى بنارها ذوو الارواح

العشق يفسد العقل ، ويهدم بنيان سعادة الانسان من اساسها ، وما ينشأ عنه من الفجائع لايقدر ابلغ يراع على تصويرها ، ومردها كلها اما لابقاء النوع ، واما للاتيان بغيره لينال من عذاب الدنيا اضعاف مانا له هو ، (فكأن صاحبنا المعرى من القائلين بهذا المذهب) وما عدا هذا وذلك فاننا نجد الطبيعة تسوق المخلوقات كلها الى الغاية التي تريدها بكل شدة وصرامة وينقادون الى امرها خاضعين ذليلين غير قادرين على المقاومة بحال من الاحوال

يمكننا ان نثبت بدليل اوضح من هذا ان الحياة عبارة عن عذاب دائمي وعليه نقول

ان الحياة عبارة عن حركة ومجاهدة وفي كليهما اذى كبير لو تعقلون وما

وماعدا هذا فان الدنيا تابعة لمشيئة مبرمة ، وهي عبارة عن قوة مطلقة عن سائر القيود العقليه وغيرها ، وبهذا التعبير تكون مرادفة للفوضى والعدم مادامت هي حاكمة على العالم بعظيم قوتها ، وما دامت هي عبارة عن موءثر ليس الا

ان (هارتمان) (١) ذهب الى ان تلك المشيئة المبرمة مشتركة مع اساس آخر خال من الشعور النفسي فعدل بذلك نوعا ما مذهب الاستقباحيين تعديلا طفيفا

يقول هذا ان الاساس الثاني الخالي عن الشعور عبارة عن فكر يقوم بوظيفة ارجاع المواد الغير منظمة التي تحضرها له المشيئة المعهودة — الى احسن حالات الانتظام ويطلقون على هذا المذهب (الاستقباحي الاضافي)

فعلى هذا يكون العالم مبنيا على اساسين اولهما (مليح) وثانيهما (قبيح)

اما هو (اي العالم) من جهة العناصر المتكون منها فليس باشنع الممكنات بل ابدعها ، بيد ان القبح يتغلب على الجمال فيه ولهذا يرجح وجوده على عدمه

ان فيلسوفنا هذا نظم موازنة بين الخير والشر ليرى قيمة العالم الحقيقية فقسم التاريخ الى ثلاثة ادوار

فالدور الاول هو دور الخيال والضلال ، ذلك حينما اهتم البشر بالركض وراء اقتناص طير السعادة ولم يظفروا من سعيهم بطائل . — وقد اعتبر اعصر الوثنيين الى ظهور السيد المسيح (عليهِ السلام) تابعة للدور الاول وهاك مايقوله بهذا الصدد

---

(١) هارتمان شاعر الماني ولد في ديشتك من اعمال النمسا سنة ١٨٢١ ومات في فينا سنة ١٨٧٢ وله موءلفات شعرية

ان البشر تخيلوا السعادة في الحظوظ النفسية ، والبدائع الجميلة التى كانت تتجلى على وجه الارض ، بيد انهم ماعتموا حتى عرفوا خطأهم ، وعلموا ان الحظوظ النفسية خادعة ، والجمال ظل زائل لامحالة

اما الدور الثاني فهو من ظهور النصرانية ، الى الازمنة المتأخرة . وعن هذا الدور يقول :

ان النصارى ذهبوا الى ان السعادة التي وعدوا بها ، موجودة في الجنة وبما ان العلم والفن قد اثبتا بطلان هذا المعتقد !! (كذب ورب الكعبة) ادركوا حينئذ الخطأ الذي ارتكبوه في هذا الاعتقاد

اما الدور الثالث . «وهو دور المتأخرين» فيقول عنه

ان المتأخرين ذهبوا الى ان السعادة توجد في الترقيات الفنية والمدنية الا انهم تحققوا بانها لاتزيد الانسان رفاهة وسعادة ، بل تحدث في نفوسهم ثورة الامال والمطامع ، ولا تنتج عنها غير زيادة الحس في القوة العصبية ، وهذا مما يدعوها ان تمل الحياة وتقول مع لبيد

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين عاما لاابا لك يسأم

حينئذ ادرك هؤلاء المتأخرون خطأهم ، وابتدأوا يفرون من العلوم والفنون وترقي المدنية ، فرار السليم من الاجرب

استخلص «هارتمان» من النظريات الثلاث التي اوردناها هذه النتيجة

ان السعادة عبارة عن خيال لاظل له

ان وجود العالم الثاني من متولدات الاوهام

واذا كان الامر كذلك ، فلماذا يتحمل الانسان مصائب الحياة ومشقاتها؟

هذه هي النتائج يمكن استحصالها بالاجتهاد العقلي سواء كانت عن العالم او قيمة الحياة ولا يتسنى للعقل ان يتجاوز حدودها

ان خلاصة مايجاب به المستقبحون على نظرياتهم التي اوردناها :

نسلم معكم بوجود القبح في الدنيا ' وان اكدارها تتغلب على مسراتها' ولاننكر عليكم ماذهبتم اليه 'من ان اذية المرء منها متناسبة مع تكمله العضوي تناسبا مبسوطا ' الا انه لانسلم معكم 'بان الكائنات ' وذات الحياة ' مشتملين على القبح المحض ' حتى يستلزم من ذلك ترجيح العدم على الوجود

نقول معكم بان الحركة والجهاد' من اركان الحياة ' الا ان علم الروح يثبت لنا بان اكثر الحركات لاالم فيها ' ولا يوجد عذاب مطلق ' في كل حركة يتحركها الانسان

أن قولهم « الطبيعة تسوق البشر الى غاية مخصوصة » صحيح لاغبار عليه ' بيد ان سوقهم هذا ' ينطوي على مقاصد سامية لها ' وكل من يخدمها ' ويتبع امرها ' لاتتركه بدون مكافأة ' ينثلج لها صدره ' كما ان هذا السوق ليس بالشدة التى تتوهمونها

ان الوظائف الطبيعية التي نقوم بها لبقاء الشخصية والنوعية ' نجد فيها لذة فائقة ' نعدها مكافأة على خدمتنا ' واذا لم نوءدها كما يجب ' نجد مرارة من اجلها ' وهذه هي المجازاة التي نستحقها منها

اما قول المستقبحين بانهُ لاشيء وراء الموت ' فنرده بان الدلائل التى يدعم بها المصدقون دعواهم ' اكثر قوة من ادلة نفاتها

ان فنوننا الحاضرة ' لاتتجاوز دائرة الماديات ' فليس من الاصابة اذا التوكوء عليها في هذه المباحث ' وانما تحل امثالها بعلم (ماوراء الطبيعة)

بمثل هذه الاجوبة ' نرد مزاعم المستقبحين ' وعندي ان الاجدر بهوءلاء ان يمر الفكر بمزاعمهم مرور الظلال ' على السهول والجبال ' ولا يتحمل مشقة الرد عليها ' لانها تعد من قبيل الفكاهات التي تتسلى بها الخواطر

لان الملاحظات التي تورد على المباحث المتعلقة بالحياة والعالم ، تابعة للعقيدة اولا ، وتشكل الدماغ ثانيا ، والاستعداد المخصوص لشكل بنية ثالثا ، وهي ذوقية اكثر منها عقلية ، مثلا نجد الذين يذهبون الى القبح المطلق يزعمون ان العالم كلهُ قبيح ، فيلزمنا ان نرد مدعاهم ببراهين معقولة ، لان فيه تناقضا بينا

نقول لهم : تدعون ان العالم قبيح بوجه الاطلاق ، فمن اين علمتم ذلك ؟ يلزمكم الاعتراف بوجود الحسن قبله ، لان الاشياء تعلم باضدادها واذا لم تروا حسنا فيلزمكم ان لاتذهبوا الى القبح ابدا ، اما وقد جنحتم اليه ، فحسبنا هذا اعترافا منكم بوجود الحسن ، لان فكر القبح يتعين معه فكر الحسن بالضرورة

من هذا يتبين ان دعواكم ليس عليها مسحة من الحق

اما ادعائكم بان وجود القبح مناف للحكمة ، فاكثر بطلانا من ذلك ، مادمنا لانعرف القبح الافي وجود الحسن ، ولو امعنتم النظر لزمكم ان تعترضوا على عدم وجود القبح ، لاعلى انه موجود

لو فرضنا ان الحق جل وعلا فوض اليكم تعيين الحسن ، فبأي قياس يمكنكم ان تعينوه ؟

لابد لتعيين الحسن من وجود القبح بلا ارتياب

لندع هذا جانبا ، ولنصرف النظر عن القبح ، فبأي وجه يجوز لكم ان تطلقوا الحسن على شيء محال ، وكيف يمكنكم تقدير ماهيته ، وماذا يفهم كل انسان مما تقولون عنه انه حسن

فبناء عليه ، يلزمكم ان تعتقدوا بان القبح غير موجود اصلا ، ولو خفيت عنكم الحكمة في شيء ما ، فيلزمكم ان تقولوا ان هذا القبح هو عين الحسن

فاذا ، كل ما اوردتموه غير وارد علينا ، وهذا احسن ما نجيبكم به
وعلى هذا نقول بملء فينا ، «لاقبح في العالم» كما ذهب المستقبحون ،
واذا اردنا تعيين الماهيات ، فلا يمكننا ان ندرك ماهية الحسن الا
بعد الوقوف على ماهية القبح

اما العالم بحسب اعتقادي فهو ماهية بسيطة ، تتصف بوصفين حسب
الافعال والانظار ، وايضاحا لمدعاي اقول :

اننا اذا قابلنا (النار) نجد فيها استعدادا لماهيتين متضادتين ، فبينا نجد
لذة في تقريب ايدينا منها في الشتاء ، وقت انهمال الغيوث حسب الاحتياج
الى التدفئة ، تجدنا نبتعد عنها اذا اردنا الازدياد من هذه اللذة ، حتى نجد
الما اذا تجاوزنا حدود الاحتياج

فالنار التي هي عبارة عن ماهية واحدة ، نجدها مشتملة على ماهيتين
مختلفتين حسب اقترابنا وابتعادنا عنها — احداها التدفئة والثانية الاحراق

ان التسخين بالنظر لكونه ملائما لطبيعتنا ، نقول عنه طبعا انه خير ،
بعكس الاحراق ، فاننا نعبر عنهُ بانه شر ، لعدم امتزاجه مع مزاجنا ،
ونستقبحه فوق ذلك ، وعليه فلا يجوز لنا ان نمدح النار او نذمها بحسب
ماهيتها المخصوصة

ان الدنيا تنطبق على هذا المثال ، فليس القبح فيها ، بل في الاناسي
الذين يغيرون ماهيتها ، حسب افعالهم وافكارهم ، ولا تثريب على
الفلاسفة الذين وصفوها بذلك ، لان «منظارهم» العقلي لم يتجاوز اكثر مما راى

ان نتيجة الاستغناء عن التأييد السماوي ، والاقتداء بالدلائل العقلية
المحضة ، وروءية الدنيا قبيحة — التدهور في مهاوي الشقاء ، واحتقار الناسوت
ينتج الوصول الى السعادة الاخروية الابدية ، وكم من فرق بين النظرتين

أن الفلاسفة يحملون قبح العالم ، على فقدان الكمال في القدرة الفاطرة (تعالى الله عما يقولون) ، وحكماء الاسلام يخالفونهم ويذهبون الى وجود حكم خفية يخطئها العد في هذا العالم ، وانه لا يوجد شيء خارجا عن روح الحكمة

فمن هنا يتبين لنا الفرق بين الاعتقادين

والذين هم مظهر قوله (تعالى) «افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه» ، لا يجدون بواسطة النور الذي يمشي بين ايديهم ، مشكلا دون روءية «الحقيقة الزهراء»

صيدا　　　محمد علي ح. حبشو

قلدوا امركم

وقلدوا امركم لله دركم　　رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا
لا مترفا ان رخاء العيش ساعده　　ولا اذا عض مكروه به خشعا
مازال يحلب هذا الدهر اشطره　　يكون متبعا طورا ومتبعا
حتى استمرت على شزر مريرته　　مر العزيمة لا رثا ولا ضرعا

لقيط الايادي

صدر المجالس

اذا لم يكن صدر المجالس سيدا　　فلا خير فيمن صدرته المجالس
وكم قائل مالي رأيتك راجلا　　فقلت له من اجل انك فارس

ابن خالويه

المجرة

هذي المجرة بارتجاف نجومها　　تحكي الصفيحة في يمين جبان
فكأنها والنجم روضة نرجس　　غرست بفيض العارض الهتان

النجف　　　عبد العزيز الجواهري

معرض المشاهير

تولستوي

الفيلسوف الروسي الشهير

ولد سنة ١٨٢٨ وتوفي سنة ١٩١٠

تولى قيادة العقول في القرن الاخير في روسيا كتاب شهيرون اولهم بوشكين ثم خلفهُ كثيرون وكان آخرهم

الكونت لاون نيقولايفتش تولستوي

الذي لم يأت قبله ولن يأتي بعده كاتب مثله

ولادته ونشأته . ولد الكونت لاون من ابوين عريقين في النسب الكونت تولستوي والاميرة فولكونسكايا في قرية باستايا بوليانا في ولاية طولا من اعمال روسيا . توفيت والدته وهو في الثانية من عمره وبعد سبع سنين من موتها توفي ابوه فترك لطيما (١) في التاسعة من عمره وكان له ثلاث اخوة

كان في حداثته كثير الطيش واللعب يجتمع هو واولاد الفلاحين وغيرهم ويلعبون فيمثل ولدا رضيعا وكل من اللاعبين يلاطفه ويقدم له هدايا فيرنجها ويهزأ بهم وكثيرا ما كان يشعر بان يديه مقيدتين فيصرخ ويبكي ويستغيث ولكن على غير جدوى .

كان يظن انه ان جمع الانسان رجليه ينزل من اعلى الى اسفل

(١) اللطيم من يموت ابواه

ويستطيع الطيران واراد ان يمتحن ذلك فاغتنم وقت غياب عائلته في غرفة الاكل وطرح نفسه من علو ٣ امتار فوقع مغشيا عليه وبقي نائما ١٥ ساعة ولم يصب بادنى ضرر

وقبل موت والده انتقلوا الى موسكو لان اخاه الاكبر كان يستعد للدخول الى جامعتها . ولكن فيما بعد رجعوا منها . وبعد تيتمهم وموت الوكيلة عليهم اخذت احدى عماته على عاتقها امر تربيتهم وكانت ساكنة في قازان فانتقلوا الى هناك . وكانت هذه العمة واسعة الثروه غنية فكان بيتها مجمعا يجتمع به الامراء والاغنياء يصرفون الاوقات بالطرب واللهو وبما لاطائل تحتهُ . وكان ميسرا هناك لتلستوي جميع اسباب اللهو والطيش فلم يكن يبالي بصرف الاموال وتبذيرها على شهواته . ولما صار له من العمر ١٥ سنة أدخل الى جامعة قازان وكان جميع معلمي الجامعة نمساويين فكانوا يصرفون هممهم الى مايعود بالنفع على وطنهم فلم يحصل نجاح للتلاميذ وكان تولستوي كسلان فلم يجتهد بدرسه . ومرة سجن هو واحد رفقائه فابدى لرفيقه آراءه من قبيل بعض الدروس فقال : لماذا يعلمونا التاريخ؟ اما من المحرم صرف الوقت على خرافات . ماذا يهمني امر الاسكندر وغيره . ومثل هذا الكلام وهذه الافكار كانت تسمح لتولستوي ان يتكاسل في الدروس وكان اثناء وجوده في المدرسة كثير التفكر والتأمل . فكان يرى تعاسة العيشة وسخافتها فمل الدروس ولذلك ترك المدرسة بعد انتهاء السنة المدرسية واليك مايقوله في هذا المعنى : قد مضى وقت طويل وانا اتفكر في حالة الانسان ونفسه وقد افرغت وسعي لحل هذه المسائل وكنت اظن ان الانسان اذا اعتاد التعب يدرك يوما ما (السعادة) فكنت احمل الاثقال لاعتاد التعب . ولما كنت افتكر بالموت

كنت اقول بان الانسان لا يمكن ان يكون سعيدا اذا افتكر بالمستقبل فمن هنا ترى ان تولستوي كان يفكر في هذه الحياة من صغره

كان عائشا بين اناس مسرفين لا يهمهم شيء سوى ملاذ الحياة لا يخافون احدا ولا يونجون ضمائرهم جريا وراء شهواتهم فكان يقتدي باعمالهم وكثيرا ما كانت عمته تحضه على مخالطة الحسان ومحادثتهن

فحذا حذوهم في اول الامر ولكنه علم اخيرا بان هذه اشياء سخيفة لا تستحق ان يهتم لها الانسان فنبذها وكان قبل ذلك الحين ينظر الى الفلاح كالى شيء يعادل الحيوانات درجة ولكنه من ذلك الحين اخذ ينظر الى الفلاحين نظرة صادقة وجعل يلاطفهم ويحادثهم ويساعدهم على معيشتهم فكانوا يجدونه ملجأ مصائبهم واحزانهم

وكان اخوه الاكبر نقولا ضابطا لاحدى الفرق في القوقاز فعزم على المسير اليه وقد اثرت هذه السياحة في تولستوي تاثيرا عظيما وهنا شغف شغفا عظيما بحب الطبيعة فجعل يقضي اوقات الفراغ تحت الاشجار يناجي الطبيعة ويحادثها ويتأمل في حالة هذا الكون وحياة الانسان التعسة الملوثة في الشرور والمفاسد . وكان من صغره طموحا الى المعالي فلما نشبت حرب القرم سنة ١٨٥٣ انتظم في سلك جنديتها وابلى بلاء حسنا حتى رقي عدة مراتب . وكتب في هذه الاثناء عدة مؤلفات فلما انتشرت ذاعت شهرته وجعلوا ينظرون اليه نظرهم الى كاتب مجيد وبعد انتهاء الحرب اعتزل في املاكه ياسنايا بوليانا

اقترن تولستوي وهو في الرابعة والثلاثين من سنيه في السيدة صوفيا ابنة الدكتور بيرتس الالماني وكان سعيدا في عيشته البيتية وولد له خمسة بنين وثلاث بنات

مؤلفاته وفلسفته . لما اطلع على شرور هذا العالم ومفاسده حزن حزنا شديدا وتألم من شقاء البشر فاراد ان يحارب هذه الشرور والمفاسد بكل قواه فكتب عدة كتب انتقد بها جميع العوائد والاعمال والاعتقادات وقد خصص كلا من مؤلفاته بشيء كتب مثلا « البعث » وانتقد بها جميع الطبقات الارستوقراطية (العالية) والحكام وعوائد الناس واعتقاداتهم وانتقد السجون والمنفى وكتب «الوفاق والطلاق» وانتقد بها العيشة البيتية وعيشة الزوجين والخداع عند الزواج وكتب «مملكة جهنم» وانتقد بها القياصرة والحكام وغير ذلك .... وله كتب دينية كثيرة بين فيها واوضح معنى الفهم الصحيح للانجيل منها رسالة : «حيث المحبة هناك الله» و «ثلاث موتات» اما اشهر مؤلفاته فهي «الحرب والسلم» و «حنة كرينين» وكان يعلم ويجري حسب تعليمه فمن تعاليمه انه لالزوم لبيع الارض وشرائها لان الارض ملك الجميع واراد ان يقسم ارضهُ بين فلاحيهِ لكن زوجتهُ مانعتهُ في ذلك لانها تريد ان تعيش برفاهة

وانشأ في ياسنايابوليانا مدرسة كان لكل من التلاميذ الحرية في درس العلوم التي يميلون اليها ومنع القصاصات الجسدية واصدر مجلة اسمها «ياسنايا بوليانا» كان ينشر فيها مؤلفاته وقد عطلت المجلة واقفلت المدرسة (لاسباب سياسية وكهنوتية)

ولما ذاعت شهرته الكتابية اخذت تتناقل مؤلفاته جميع المجلات حتى ان مجلة النيفا الرسية دفعت له ثمن «البعث» لكي تكون هي اول ناشرة لها ١٥ الف روبل . ودفعت لها احدى المجلات الروسية ٣٠ الف روبل ليكون لها الحق في نشرها هي والنيفا في آن واحد فلم ترض . وفي حياته كان يفد عليه علماء كثيرون من جميع اقطار العالم

فيباحثـونهُ وينتفعون بآرائه ولـم يكن يأنف من محـادثة احد

يمتاز تولستوي عن غيره بكونه افاض على الناس ينابيع الحكمة وعلمهم كيف يجب ان يعيشوا وهداهم الى طريق الحق وحسر النقاب عن كثير من اسرار العيشة المجهولة ولا بأس ان نورد بعض تعاليمهِ :

اما الدينية فهي تنحصر في هذه القواعد الاربع وهي :

١ حب الله من كل نفسك وكذلك قريبك ولا توبخ احدا

٢ لاتغازل النساء ولا تهجر المرأة التي اتحدت بها لان هذا يولد فسادا في العالم . ٣ لاتقاوم الشر بالشر واحتمل الاهانة . (وقد قال الفيلسوف لاحد اصدقائه : لو هجم علي عدو يريد ان يذبح ابني لما دافعت عنه) ٤ لاتفرق بين مواطنيك والغرباء لان جميع الناس من مصدر واحد

لايستطيع المرء ان يعرف مقصد عيشته بل يستطيع ان يعرف طريقها

المحبة اسمى واطهر من المال . ساعد اخاك بالمحبة . لاتنسى ماعلمك اياه الانفراد في حياتك ووقت انفرادك افتكر كيف يجب ان تعامل الناس ، الحياة تكون سامية حينما تؤسس على انكار النفس .

عبده ابو جمره

(العرفان) تأخرت نشر ترجمة تولستوي لعدم استيعاب الجزء الماضي لها وهانحن نضم الى هذه الترجمة مافات كاتبها ذكره نقلا عن مجلة الهلال لانها هي المجلة الممتازة في اشباع المواضيع التي تكتبها وتمحيصها اتم تمحيص هذا ونحن نعتقد بان تولستوي نفع الانسانية جمعاء بمؤلفاتهِ وافكاره وان كانت تعاليمهُ لايمكن ان تكون دستورا للعالم قط لصعوبة العمل بها بل استحالة ذلك وهاك مانتقله عن الهلال

عيشته اليوميه . كان الكونت طولستوي يعيش في قريته على ابسط حال في منزل موءلف من طبقتين بلا شرفات ولا اروقة حوله غابة كثيفة. كان يقيم فيه مع زوجته واولاده ليس فيه من الرياش الامقاعد من الخشب وبعض الكراسي من القش وليس على جدرانه الا بعض صور المشاهير كشكسبير وديكنس وبعض اجداده . كان يقيم هناك كسائر الفلاحين يلبس ثوبا مثل اثوابهم هو عبارة عن سراويل واسعة فوقها كساءٌ كالقميص يتمنطق حولهُ بسير من جلد . وقد ارسل شعره حتى جلل رأسه ولا يلتفت الى اصلاحه

وكان طعامه مثل طعامهم يتناول الشاي في الصباح ويذهب الى العمل في حرث الارض وتعهد اشجارها واعشابها وبذر الحبوب ومساعدة ضعفاء الفلاحين باعمالهم — لاعتقاده ان مساعدة الفقير في عمل يعمله خير من الاحسان اليه بالمال لانه يجره الى الكسل . فاذا عاد في المساء تناول الطعام مع اهله في ابسط مايكون .وليس في ذلك المنزل من دلائل المدنية الا الكتب على رفوف من الخشب البسيط للمطالعة في ساعات الفراغ

تلك كانت حاله بالصيف في ياسيانا بوليانا اما في الشتاء فكان يقيم في موسكو اذ ينقطع عن الاعمال البدنية الشاقة ويتفرغ للاعمال العقلية فيوءلف الكتب ويراسل ويكاتب وقلما يقابل احدا من الروسيين ولكنه كان يحتفل بمن ياتي لزيارته من الاجانب . واختص نفسه بغرفة من بيته مفروشة بالاثاث البسيط فيها مكتبة ومقعد وطاولة وكراسي بخلاف سائر غرف المنزل فانها كانت مفروشة بافخر الرياش لاستقبال الذين يزورون عائلته من علية القوم لان اهله كانوا عائشين عيشة اشراف الروسيين في البذخ والتأنق . اما هو فكان منفردا بعيشته يتوخى السذاجة في كل شيء

ولايهمه وهو هناك الا الاشتغال بالتأليف كما يكون همه في يا سنايا بوليانا الحراثة وتعليم الفلاحين والناس في اطراف العالم يعجبون بما يسمعونه من اخباره واطواره

وفاته . فوجيء الناس برسالة برقية تنبيء بخروج الفيلسوف الشيخ في ١٠ نوفمبر الماضي من ياسنايا بوليانا الى حيث لايعلم احد ولم يصطحب الا حكيمه الدكتور ماكوفتسكي وتلميذا من تلاميذه خرج ليلا ولم ياخذ من الدراهم الا مايكفي للسفر في اقل الدرجات فاهتم اهله بالتفتيش عنه واختلفت الاقوال في غرضه او السبب الذي بعثه على تلك الرحلة . ثم بلغهم خبر وصوله الى كوسلسك بقرب دير رئيسته الكونتس ماريا نيقولايفنا شقيقة طولستوي

اما طولستوي فانهم وقفوا على خبره في محطة استابوفو قرب كوسلسك وقد اصيب بحمى شديدة قضت على حياته

فلما نمي الخبر الى اهله احتفلوا بنقله الى المكان الذي اوصى ان يدفن فيه بغابة افونين قرب ياسنايا بوليانا فحملوه على الاعناق يمشي حوله اهله ومحبوه ومريدوه . حتى وصلوا الى محطة زاسيكا المؤدية الى قريته تولى حمله اربعة من اولاده هم سرجيوس وليشال واندريا والياس والناس يمشون خلفه واكثرهم من اصدقائه الفلاحين تقاطروا لحضور جنازته من جهات مختلفة بباقات الازهار ليس معهم كاهن ولا صليب حتى واروه التراب في حفرة اعدوها له بين اشجار تلك الغابة

شهرته . ان ماصاب طولستوي من الاضطهاد والحرمان زاد في شهرته فانتشرت آرائه في اقطار العالم المتمدن وساعد على انتشارها منزلة الرجل من العلم واعتقاد الامم الاوربية فساد حكومة القيصر واغراقها في

الاستبداد . وقد نقلت كتبه الى اكثر لغات اوروبا وغيرها فقرأها اهل القارات الخمس . واصبح اسم الكونت طولستوي دائراعلى السنة الخاصة والعامة في المجالس والاندية وفي المنازل . وعده العلماء من اعظم رجال التاريخ . وفاضل بعضهم بينه وبين فيكتور هوغو وفضله عليه لان طولستوي كان لايزال حيا وكتبه يقرأها مئات الالوف وقد ياتي باحسن منها . وقابل آخرون بينه وبين نابوليون الاول ولنكولن ففضلوه عليهما لتأثير كتبه في نفوس الناس . وقد اجمع الاكثرون على انه اكتب كتاب الروس بعد ترجنيف — على ان بعضهم عد تعاليمهُ من قبيل الاوهام التي لاتأتي بفائدة

قاعدة ايمانه في الدين . ان اعتقاده الديني ينحصر في الاناجيل الاربعة ولا يعتقد بكل ماجاء فيها وانما يقتصر على وجهها التعليمي . لان تعاليم الانجيل في نظره سامية وانه اذا عمل بمقتضاها ساد الوفاق وتآخى الناس وعنده ان الانسان لايكفيه ان يكف عن قتل اخيه الانسان بل لايسوغ له ان يشكوه اويغضب منه اويمتهنه . فاذا وقع في شي من ذلك رغم ارادته وجب عليه الاسراع في المصالحة قبل ان يقف للصلاة . وان الانسان اذا تزوج لاينبغي له ان يبتعد عن امرأته بطلاق او غيره . ولاان يقسم بانهُ سيفعل الشيء الفلاني وهو لايملك شيئا من مجاري الطبيعة . ولايحسن بهِ ان يقلع العين بالعين او السن بالسن بل يجب عليهِ ان يغضي عن السيئات وان لايكره اعداءه بل يحبهم ويأخذ بناصرهم

اما من حيث الامور المتعلقة بالايمان فانهُ لايوءمن بسر الفداء ولا الثالوث الاقدس ولا لاهوت المسيح . اما خلود النفس فاعتقاده فيهِ يخالف تعاليم الكنيسة . وهاك صورة ايمانهِ بالخلود «اعتقد بالعالم الاتي وان الحياة لاتنتهي بالموت . ولكنني لا ادري مايكون من امر هذه الحياة بعد الموت

ولاحاجة بي الى معرفة ذلك » فهو ينكر العقاب والثواب او يسكت عنهما

وقد خالف تعاليم الكنيسة في تفسير الفقرة الواردة في اول انجيل يوحنا «في البدء كانت الكلمة والكلمة كان عند الله وكانت الكلمة الله» فهو يترجمها «في البدء كانت المعرفة والمعرفة صارت عوض الله ثم صارت المعرفة الله»

وقد بسط طولستوي اعتقاده في رده على المجمع المقدس لما حرمهُ من الكنيسة وهو «أوءمن ان الله روح ومحبة وانهُ في وانا فيهِ وان مشيئتهُ مبينة لي تعاليم المسيح الانسان — ولا اعتقد انه اله والصلاة له استهزاءٌ بهِ . وسعادة الانسان تقوم بعمل ارادة المسيح وهي ترجع الى تبادل المحبة بين الناس وبها يسود ملكوت الله على الارض فتتطهر من الرذائل . وان الوسيلة الوحيدة لنشر هذه المحبة الصلاة الانفرادية التي علمنا اياها المسيح بتوجيه الفكر الى العزة الالهية »

اما الكنيسة فلا يعتقد انها كنيسة المسيح كما يرضاها هو بل يقول انها قد طرأ عليها الفساد وارتكب روءساؤها مايخالف تعاليم المسيح

رثاءه — رثى تولستوي اكثر المشهورين من شعراء العرب واكليل تلك المراثي قصيدتا شوقي وحافظ شاعرا مصر في هذا العصر

اليك ابياتا من قصيدة الاول

(تولستوي) تجري آية العلم دمعها	عليك ويبكي بائس وفقير
وشعب ضعيف الركن زال نصيره	وما كل يوم للضعيف نصير
(ومنها) تسائلني هل غير الناس مابهم	وهل حدثت غير الامور امور
وهل آثر الاحسان والرفق عالم	دواعي الاذى والشر فيه كثير
وهل سلكوا سبل المحبة بينهم	كما يتصافى اسرة وعشير
وهل آن من اهل الكتاب تسامح	خليق باداب الكتاب جدير
وهل عالج الاحياء بوءساوشقوة	وقل فساد بينهم وشرور

قم انظر وانت المالىء الارض حكمة — أأجدى نظيم ام افاد نثير
اناس كما تدري ودنيا بحالها — ودهر رخي تارة وعسير
واحوال خلق غابر متجدد — تشابه فيها اول واخير
تمر تباعا في الحياة كانها — ملاعب لاترخى لهن ستور
وحرص على الدنيا وميل مع الهوى — وغش وافك في الحياة وزور
وقام مقام الفرد في كل امة — على الحكم جم يستبد غفير
وحور قول الناس مولى وعبده — الى قولهم مستاجر واجير
واضحى نفوذ المال لا امر في الورى — ولا نهي الا مايرى ويشير
تساس حكومات به وممالك — ويذعن اقيال له وصدور
وعصر بنوه في السلاح وحرصه — على السلم يجري ذكرها ويدير

شوقي

واليك ابياتا من قصيدة الثاني يعارض بها الاول

رثاك امير الشعر في الشرق وانبرى — لمدحك من كتاب مصر كبير
ولست ابالي حين ارثيك بعده — اذا قيل عني قد رثاه صغير
فقد كنت عونا للضعيف وانني — ضعيف وما لي في الحياة نصير
ولست ابالي حين ابكيك للورى — حوتك جنان او حواك سعير
فاني احب النابغين لعلمهم — واعشق روض الفكر وهو نضير
دعوت الى عيسى فضجت كنائس — وهز لها عرش وماد سرير
وقال اناس انه قول ماجد — وقال اناس انه لبشير
ولولا حطام رد عنك كيادهم — لضقت به ذرعا وساء مصير
ولكن حماك العلم والرأي والحجا — ومال اذا جد النزال وفير
(وختامها) اذا هدمت للظلم دور تشيدت — له فوق اكتاف الكواكب دور
افاض كلاما في النصيحة جاهدا — ومات كلانا والقلوب صخور
فكم قيل عن كهف المساكين باطل — وكم قيل عن شيخ المعرة زور
وماصد عن فعل الاذى قول مرسل — ولا راع مفتون الحياة نذير

حافظ ابراهيم

ومما يدلك على سمو مقام صاحب الترجمة ورود خمسة وعشرين الف رسالة تعزية على قرينته

منثورات

نوادر الشعراء = تابع

(٦)

عبد الله بن طاهر وابنه

حكى الماوردي ان عبد الله بن طاهر تذاكر الناس في مجلسه حفظ السر فقال

ومستودعي سرا تضمنت ستره فاودعتهُ في مستقر الحشى قبرا

فقال ابنه وهو صبي واحسن ماشاء

وما السر في قلبي كثاوٍ بحفرةٍ لاني ارى المدفون ينتظر الحشرا
ولكنني اخفيه حتى كانني من الدهر يوماما أحطت به خبرا

(ديوان الصبابة)

الفصل الخامس

المضحكات

(١)

السائل وفخر الملك وابن نباتة

سأل رجل فخر الملك حاجة واملهٔ فلم يعطه شيئا . فمضى الرجل الى القاضي واستدعى ابن نباتة الشاعر . فلما جاءه رسول القاضي قال لهُ مالاحدٍ علي شيء ولا علي دين ولا بيني وبين احد خصومة حتى ارضيه . فلما حضر عند القاضي قال للرجل ماحقك علي . فقال انت قلت في شعرك

لكل فتى قرين حين يسمو وفخر الملك ليس له قرين
أنخ بجنابه وانزل عليه على حكم الرضى وانا الضمين

فانت ضمنت لي وانا نزلت عليه فلم يعطني شيئا والضامن غارم . فقال امهلني حتى اصل اليه . فلما دخل عليه اخبره بالقصة . فقال للرجل كم أملت . قال مائة دينار . قال ادفعوها له . ثم قال لابن نباتة اذا مدحتني بعدها فلا تضمن لاحد في شعرك

(مجلة اللطائف)

(٢)

ابو دلامة والمهدي وابن سليمان

روي ان ابا دلامة كان منحرفا على علي بن سليمان فاتفق ان خرج المهدي الى الصيد ومعه علي وابو دلامة . فرمى المهدي ظبيا عنَّ له فانفذ مقاتله ورمى علي بن سلمان فاصطاد كلبا من كلاب الصيد فارتجل ابو دلامة

قد رمى المهدي ظبيا * شك بالسهم فؤاده
وعلي بن سليما * ن رمى كلبا فصاده
فهنيئا لهما كل م فتى ياكل زاده

فضحك المهدي حتى كاد يسقط (مجاني الادب)

(٣)

السراج الوراق وبائع الزيت

حكي ان السراج الوراق الشاعر المشهور جهز غلاما له يوما ليبتاع له زيتا طيبا لياكل به لفتا فاحضره وقلبهُ على اللفت فوجد زيتا حارا فانكر على الغلام ذلك واخذه وجاء الى البياع وقال لهُ «لم تفعل مثل هذا» فقال «ياسيدي مالي ذنب لانه قال : اعطني زيتا للسراج » (النشرة الاسبوعية)

(٤)

ابو الرقعمق واخوانه

من ظريف مااتفق لابي الرقعمق قال : كان لي اخوان اربعة وكنت انادمهم في ايام الاستاذ كافور . فاتى رسولهم في يوم بارد وليست لي كسوة تحصني من البرد . فقال الرسول : اخوانك يقرون عليك السلام ويقولون لك . اصطبحنا اليوم وذبحنا شاة سمينة فاشتهِ مانطبخه لك واتنا عاجلا . فكتبت اليهم

اخواننا قصدوا الصبوح بسحرة فاتى رسولهم الي خصيصا
قالو اقترح شيئا نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

فذهب الرسول اليهم بالرقعة . فما شعرت حتى عاد ومعه اربع خلع واربع صرر في كل صرة عشرة دنانير فلبست احداها وسرت اليهم (عقد الجمان)

(٥)

ابو العلاء المعري وابن خلكان

من غرائب الظرف ماحكاه ابن خلكان في تاريخهِ قال : حدثني من اثق بـه ان شخصا قال له رأيت في تاليف ابي العلاء المعري ماصورته .

«اصلحك الله وابقاك لقدكان من الواجب ان تاتينا اليوم الى منزلنا الخالي لكي يحدث لي انسك يازين الاخلاء فما مثلك من غير عهدااو غفل» . وساله من اي بحور الشعر هذا الكلام . وهل هو بيت واحد او اكثر فان كان اكثر فهل ابياته على روي واحد اومختلفة الروي . قال فافتكرفيه ثم اجابه : ان هذه الكلمات تخرج من بحر الرجز وتشتمل على اربعة ابيات في روي اللام وهي

اصلحك الله وابـ قاك لقد كان من ال
واجب ان تاتينا ال يوم الى منزلنا ال
خالي لكي يحدث لي انسك يازين الاخل
لاء فما مثلك من غير عهدا او غفل

(ابن خلكان)

(٦)

الشاعر المغفل

ومن لطائف المنقول عن المغفلين من الشعراء ان بعضهم دخل مسجد الكوفة يوم الجمعة وقد نما خبر الخليفة المهدي انه مات فقال للحاضرين رافعا صوته :

«مات الخليفة ايها الثقلان» فقالوا هذا اشعر الناس فانعى الخليفة الى الانس والجن في نصف بيت ومدت الناس ابصارهم واسماعهم اليه فقال :

«فكانني افطرت في رمضان» فضحك الناس وصارشهرة في الحمق

(٧)

الحريري وطالب الادب

قيل كان الحريري قذرا في نفسه وشكله ولبسه قصيرا دميا بخيلا . فجاءه يوما رجل غريب لكي ياخذ عنه شيئا فلما رآه استزرى شكله وفهم الحريري ذلك فلما التمس منه ان يملي عليه قال له اكتب

ماانت اول سار غره قمر ورائد اعجبتهُ خضرة الدمن
فاختر لنفسك غيري انني رجل مثل المعيدي فاسمع بي ولا ترني

فخجل الرجل وانصرف عنه (دائرة المعارف)

(٨)

الخليل بن احمد وابنه

كان الخليل بن احمد يقطع العروض فدخل عليه ولده في تلك الحالة فخرج الى الناس وقال : ان ابي جن . فدخل الناس عليه وهو يقطع العروض . فاخبروه بما قال ابنه . فقال له

لو كنت تعلم ما اقول عذرتني او كنت تعلم ماتقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني وعلمت انك جاهل فعذرتكا

(مجاني الادب)

(٩)

طفيلي الوليمة

قال احمد بن علي الحاسب : مر طفيلي بسكة النخع بالبصرة على قوم وعندهم وليمة فاقتحم عليهم واخذ مجلسه مع من دعي فانكره صاحب المجلس فقالوا له لو تانيت او وقفت حتى يوءذن لك او يبعث اليك . قال انما اتخذت البيوت ليدخل فيها ووضعت الموائد لياكل عليها وماوجهت بهدية فاتوقع الدعوة والحشمة قطيعة وطرحها صلة وقد جاء في الاثر صل من قطعك وأعط من حرمك وانشد

كل يوم أدور في عرصة الدار م اشم القتار شم الذباب
فاذا ما رأيت آثار عرس او دخان او دعوة الاصحاب
لم اعرج دون التقحم لا ار هب طعنا او لكزة البواب
مستهينا بمن دخلت عليهم غير مستاذن ولا هياب
فتراني الف بالرغم عنهم كل ما قدموه لف العقاب

(العقد الفريد)

(١٠)

الشاعر والمامون

اتى شاعر الى المامون فقال

حياك رب الناس حياكا اذ بجمال الوجه زقاكا
بغداد من نورك قد اشرقت واورق العود بجدواكا

قال فاطرق المامون ساعة وقال

حياك رب الناس حياكا ان الذي املت اخطاكا
اتيت شخصاً خلا كيسهُ ولو حوى شيئاً لاعطاكا

فقال يا امير الموءمنين الشعر بالشعر حرام فاجعل بينهما شيئاً يستطاب فضحك المامون وامر له بمال (مجاني الادب)

(١١)

ابن قابوس وصاحبه

قال ابن قابوس لصاحب له حافي الرأس وكان هذا اعور اليمين وهذا اعور اليسار

الم ترني وعمرا حين نمشي الى الحاجات ليس لنا نظير
اسايره على يسرى يديه وفيما بيننا رجل ضرير

(صحة العين)

(١٢)

ابو عمرو بن العلاء وفرجة

روي عن ابي عمرو بن العلاء انهُ كان مشتبها في كلمة — فُرجة — ابضم الفاء او بفتحها . فطلبه الحجاج بن يوسف الثقفي ليقتله فهرب منه واذ كان سائرا بصحراء اليمن اذ لحقه لاحق ينشد

ربما تكره النفوس من الامـ ر له فَرجة كحل العقال

(بفتح فاء فرجة) فساله ابو عمرو ما الخبر قال : مات الحجاج . قال ابو عمرو : فانا بقوله له فرجة اشد سرورا مني بموت الحجاج (والفرجة بالفتح بين الامرين) (فقه اللغة)

(١٣)

احمد بن المدبر وحسين بن عبد الرحمن

مما يستحسنُ من تجنيس الصِلات والصَلاة حكاية احمد بن المدبر وكان اذا

مدحه شاعر ولم يرض شعره قال لغلامه : امض به الى المسجد فلا تفارقه حتى يصلي مائة ركعة ثم خله . فتحاماه الشعراء الا الافراد فجاء الحسين بن عبد الرحمن البصري فاستاذنه في الانشاد فقال . اعرفت الشرط ؟ قال نعم وانشد

أردنا في ابي حسن مديحا   كما بالمدح تنتجع الـولاة
فقلنا اكرم الثقلين طـرا   ومن كفيه دجلة والفرات
فقالوا يقبل المدحات لكن   جوائزه على المدح الصلاة
فقلت لهم وما تغني صلاتي   عيالي انما تغن الزكـاة
فامـا اذ ابى الا صـلاتي   وعاقتني الهموم الشاغلات
فيامر لي بكسر الصاد منها   لعلي ان تنشطني الصِلات
فتصلح لي على هذا حياتي   ويصلح لي على هذا الممات

فضحك واستظرفه وامر له بمائة دينار   (مجاني الادب)

(١٤)

الطفيلي والشعراء

نظر طفيلي الى قوم ذاهبين فلم يشك انهم في دعوة ذاهبـون الى وليمة فقام وتبعهم فاذا هم شعراء قد قصـدوا السلطان بمدائح لهم فلما انشد كل واحد شعره واخذ جائزته لم يبق الا الطفيلي وهو جالس ساكت فقال له انشد شعرك فقال لست بشاعر قيل فمن انت قال من الغاوين الذين قال الله تعالى في حقهم والشعراء يتبعهم الغاوون فضحك السلطان وامر له بجائزة الشعراء   (هامش المستطرف)

(١٥)

الثقيل والظريف

تردد ثقيل على ظريف واطال ترداده حتى سئم الحياة فقال له الثقيل : من تراه اشعر الشعراء ؟ اجابه الظريف ابن الوردي بقوله

غـب وزر غبا تزد حبا فمـن   اكثر الترداد اضناه الملل

فقال الثقيل اخطات فان البخاري اشعر منه بقوله

اذا حققت من خل ودادا   فزره ولا تخف منه ملالا
وكن كالشمس تطلع كل يوم   ولاتـك في زيارته هـلالا

اجاب الظريف ان الحريري اشعر من الاثنين بقوله

ولا تزر من تحب في كل شهر * غير يوم ولا تزده عليه

وان لم تصدقني فقد وهبتك الدار بما فيها وخرج وهو يقول

اذا حل الثقيل بارض قوم * فما للساكنين سوى الرحيل

فخجل الثقيل وذهب في سبيله (مجلة اللطائف)

(١٦)

عمرو بن معدي كرب

قيل انه لم يكن في عمرو بن معدي كرب خصلة ردية الا الكذب . قيل انه وقف يوما بالربد يتحدث مع الناس فقال اغرت يوما في الجاهلية على بني مالك فخرجوا مستنجدين بخالد بن الصعقب فحملت عليه بالصمصامة فقطعت رأسه . وكان خالد حاضرا فقال بعض الجماعة مهلا يا ابا الثور ان قتيلك يسمع كلامك واشار اليه . فقال عمرو اسكت انما انت جليس فاسمع او قم . ثم التفت الى خالد وقال انما نرهب هؤلاء الناس بهذه الاخبار ومضى في حديثه فلم يقطعه (طبقات الشعراء)

الفصل السادس

الهزليات

(١)

شريح وعدي بن ارطاة

قيل دخل على شريح بن الحارث الكندي عدي بن ارطاة فقال : اين انت اصلحك الله . قال بينك وبين الحائط . قال استمع مني . قال قل اسمع . قال : اني رجل من الشام . قال من مكان سحيق . قال تزوجت عندكم . قال بالرفاء والبنين . قال واردت ان ارحلها . قال الرجل احق باهله قال وشرطت لها دارها . قال الشرط امامك . قال فاحكم الآن بيننا . قال قد فعلت . قال فعلى من حكمت . قال على بن امك . قال بشهادة من . قال بشهادة ابن اخت خالتك (دائرة المعارف)

(٢)

ابو العلاء صاعد والمنصور

لما اعجب المنصور بن ابي عامر بابي العلاء صاعد وأراه كتاب النوادر لابي علي القالي فقال ان اراد المنصور امليت على كتاب دولته كتابا ارفع منه واجل لااورد فيه خبرا مما اورد ابو علي فاذن له المنصور في ذالك فجلس في جامع الزهرة واملى كتاب الفصوص (انظرفصل ٢ عد ٢١) . فلما اكمله تتبعه ادباء العصر فلم يثبتوا شيئا فيه من الصحة وطلبوا من المنصور ان تجلد اوراق بيضاء يغير لونها وتدعك بحيث توهم القدم فامر بها فجلدت كتابا وكتب على ظهر الكتاب «النكت تاليف ابي الغوث الصنعاني» واحضرمرة لصاعد فلما رآه وقرأ عنوانه المزور قال هذا قرأته بالبلد الفلاني على الشيخ ابي فلان فاخذه المنصور من يده قبل ان يفتحه وقال له ان كنت قد قرأته فقل لنا على اي شيء يحتوي . فقال وابيك لقد بعد عهدي به ولا احفظ الآن منه شيئا ولكن يحتوي على لغة منثورة لايشوبها شعر ولا خبر . فقال له المنصور ابعد الله مثلك فما رأيت اكذب منك (دائرة المعارف)

(٣)

الرجل البصري والقاضي

كان رجل من البصرة يلتزم الضاد في كلامه فدخل يوما على القاضي فقال : السلام عليك ايها القاضي الفاضل ابن الافاضل . ان ضرار بن ضمرة الضبي قد اهتضمني وغضني لضعفي واخذ ضيعة لي على الغياض اعترضها ضمانا ولم يعوضني عنها . وانت ايها القاضي غضبان علي ومعرض عني . اتضرع اليك ان تحضره الى حضرتك وتفرض عليه ان يعوضني البعض من الضمان . فلم يلتفت اليه القاضي وصرّف خصمه في الضيعة فتعلق باهداب الخصم وانشد

ايامن فرض القاضي ... له ارضي لكي يرضى
اهذا في القضا فرض ... بان ترضى ولا ارضى
قضى قاضيك في ارضي ... قضاء ليت لم يقضي
فاين العوض المفرو ... ض لاكلا ولا بعضا

(عقد الجمان)